بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

# دور الجالية اليهوديَّة في استعمار فرنسا للجزائر 1830م

**أ.د: عليوان اسعيد**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة . قسنطينة .**

**مقدِّمة:**

يُعدُّ حقدُ اليهود ودسائسُهم على الإسلام والمسلمين قَدِيمين، بدأ منذ بداية الدَّعوة الإسلاميَّة؛ ومنه: فلقد ذهب الوثنيُّون المكِّيُّون إلى اليهود يسألونهم: هل دينُ محمَّد أفضلُ أو دينُ قريش؟ فأجابوهم بأنَّ دينَكم أفضلُ، ﴿ ئۇ ئى ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى ﴾[1].

ولقد جمع اليهودُ الأحزابَ وتحالفوا مع الوثنيِّين، ونقضوا اتِّفاقيتهم مع المسلمين، ومكائد بني قُريضة، ودسائس بني النّضير أشهر من نار على علم، وكانت لهم اليد الطُّولى فيما حدث بعد وفاة النَّبي ε من فتن، وما وقع من دَسٍّ في التُّراث الإسلاميِّ من إسرائيليَّات، وهم يتربَّصون بنا الدَّوائر إلى الآن.

ما سبق يدفعنا إلى التَّساؤل الآتي:

هل يمكن لليهود أن يتخلَّوا عن طبعهم وما تطبَّعوا عليه في فترة من الزَّمن هي المرحلة الأخيرة من الجزائر العثمانيَّة؟ وإذا كان لا يُمكِنُهُم ذلك فما السِّر؟، وماذا قدَّموا لفرنسا لتحتلَّ الجزائر في 1830م.

لكي نفهم ما حدث ولماذائيَّته ننطلق من تحديد المحتوى العقديّ والتَّشريعيّ لليهود.

**المحتوى العقديّ والتَّشريعيّ لليهود:**

اليهودُ قومُ سيِّدنا موسى υ، ينتهي نسبهم إلى سيِّدنا إسحاق كتابهم التَّوراة، وهو عقيدة وشريعة، توراتهم الحالية كَتَبَها عزرا الوراق قبل المسيح بـ 545 سنة؛ وهي غير الَّتي نزلت على سيِّدنا موسى، وقد أضاف إليها حُكماؤهم التُّلمود، بعد سيِّدنا سليمان وقعت رِدَّة دينيَّة وعودة إلى الوثنيَّة، فتردَّى مُلُوكهم في الكفر، وأحدث أحبارُهم دينا جديدا[2]، عقيدة وشريعة وعبادة ومنه: فإنَّهم يُنكِرون نُبُوَّة مُحَمَّد ε وعيسى υ، ينسبون إلى الأنبياء كلَّ النَّقائص والخطايا والفُجُور. لا وُجُود للدَّار الآخرة عندهم، وصورة الإله في مُنتهى التَّجسيم، يصفونه بكلِّ الصِّفات البشريَّة السَّيِّئة، وإلههم محلِّيٌّ يسمُّونه «يَهْوَهْ» قومي؛ أي خاصٌّ بهم، ومن هنا لا يجوز لليهود الإيمان بآلهة الآخرين، وبهذا كانت الدِّيانة اليهوديَّة ديانة عنصريَّة مرتبطة بشعب معيَّن،

(1) ــ النِّساء/50.

(2) ــ علي سامي النَّشَّار، نشأة الفكر الإسلاميّ، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ج1، ص ص64. 65.

مُغلقة، فهي دين وقوميَّة معا، وهو ما أدَّى بهم إلى التَّعالي باعتبارهم شعب الله المختار، فهم وحدهم البشر[1]، والآخرون رَعاع، حيوانات خلقوا في هيئة بشر لخدمتهم[2]؛ ولذا فمن العبادةِ السِّيادةُ عليهم ونهب ثرواتهم[3]، وإبادتهم[4]، واسترقاقهم[5]، فهم أنجاس[6]، مصاهرتهم خيانة للرَّبِّ[7]، الَّذي أمر بالتَّعامل معهم بالرِّبا «للأجنبيّ تَقرض بِربًا»[8]، سرقتهم مُباحة، وكذلك الزِّنا بهم، كلُّ الوسائل مُباحة لتدميرهم وإبادتهم بما في ذلك الكفر والغدر والخيانة واعتناق أديان الشُّعوب الأخرى[9]، ولقد حاربوا الرَّسول ε منذ بعثته فكريًّا وعسكريًّا، وقاموا بدورٍ جبَّارٍ في الدَّسِّ في التُّراث الإسلاميّ[10]، واستغلال أوضاع المسلمين عبر العُصُور لتدميرهم.

ما سبق يُوصلنا إلى النَّتيجة الآتية:

طبيعةُ اليهود طبيعةٌ خاصَّةٌ كعرق مُرتبط بكتاب مُقدَّس يقُوم على الحطِّ من الآخرين، يعتمد العنف والإرهاب والتَّآمر وكلَّ ما لا يُتَصوَّر لتحقيق أهدافه، يُنكرون الجميل مَهْما خَدَمْتَهم، وأوَّلُ فرصة متاحة ينقضُّون فيها عليك، وقد وَجَدوا بالجزائر مُقاما طيِّبا، وفي أهلها المساعدةَ والتَّرحيبَ، فهل يمكن أن يشذَّ سُلُوك اليهود بسبب ذلك عمَّا سَبَق تقريرُه؟ لكي نُجيب على هذا ننطلق في التَّحليل من الإشارة إلى أصل الجالية اليهوديَّة في الجزائر.

**أصلُ الجالية اليهوديَّة:**

اختلف المؤرِّخون حول بداية الوُجُود اليهوديِّ في شمال إفريقيا، فبعضهم يعود به إلى الفينيقيِّين حيث قدموا في كنفهم، والبعض يرى بأنَّهم أقدمُ[11]، ويهمُّنا هُنا أنَّهم تكاثروا بعد الفتح الإسلاميِّ بسبب تسامُح

(1) ــ المرجع نفسه، ص65.

(2) ــ أحمد شلبي، اليهوديَّة، ط12، مكتبة النَّهضة المصريَّة، القاهرة، 1997م، ص ص272 . 273 .

(3) ــ أشعباء/60/75.

(4) ــ تثنية/7/16.24.

(5) ــ اللاَّويين/25/44.47.

(6) ــ حزقيال/9/44.149.

(7) ــ عزرا/9/12.15.

(8) ــ تثنية/23/19.20.

(9) ــ ومن أراد التَّوسُّع في هذا فليرجع إلى عبد الوهَّاب العمريّ، الحوار بين اليهوديَّة والإسلام (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر 2004.

(10) ــ علي سامي النَّشَّار، المرجع السَّابق، ص65.

(11) ــ مسعود كواني، اليهود في المغرب الإسلاميّ، دط، دار هومة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2000، ص11.

المسلمين فقدموا حتَّى أصبحت منطقة شمال إفريقيا تضمُّ في القرن 5هـ/11م أكبر جالية يهوديَّة في العالم، ولكنَّها ظلَّت مرتبطة ببقيَّة يهود العالم إلى حدِّ أنَّ يهود الأندلس كانوا على صلة بيهود خراسان[1]. وقد استقرُّوا فيما يتعلَّق بالجزائر في مختلف مدنها كتلمسان ووهران والعاصمة وقسنطينة، بل وحتَّى في الصَّحراء، مثل "توات" الَّتي استقرُّوا فيها وشكَّلوا "لوبي" أضرَّ بسُكَّانها كثيرا[2]، ولما جاء العثمانيُّون كانت هذه الجاليةُ موجودةً، وقد أَطلق عليها المؤرِّخون مصطلح التُّوشابيم أو الأهالي (Tochabim)، وقد التحق بهم اليهود الأندلسيُّون الفارُّون من محاكم التَّفتيش الَّذين أُطلق عليهم مصطلح الميغورشيم (Megorachim)، وكذا يهود ليفورنه[3]، وبهذا أصبح اليهود الموجودون في الجزائر العثمانيَّة ثلاثة أصناف:

**أصناف اليهود الموجودين في الجزائر العثمانيَّة:**

1 . **التُّوشابيم أو الأهالي**: (Tochabim): وقد أشرنا إليهم قبلا.

2 . **الميغورشيم** (Megorachim): أو الأندلسيُّون الفارُّون[4] من محاكم التَّفتيش الَّذين استقرُّوا بالجزائر وليفورنه (Livourne) بإيطاليا، ومنها إلى الجزائر، ويلحق بهم مجازا اليهود الإفرنج القادمون من إيطاليا وهولندا وفرنسا وإنجلترا في القرنين 14 وبداية 15[5]. كان أغلبُ هؤلاء أثرياءَ نتيجة المراباة والسَّمسرة حتَّى في العمليَّات التِّجاريَّة البسيطة فكان اليهوديُّ عبارة عن بنك متنقِّل يعرض خدماته بفوائدَ باهظة، فجمعوا ثرواتٍ طائلةً على حساب الدَّولة والسُّكَّان[6]، ووجدوا كلَّ التَّرحيب والمساعدة، ولكنَّهم رَغم ذلك لعبوا أدوارا خطيرة في تحطيم الجزائر واستعمارِها. كما لعبوا نفس الأدوار في تحطيم الخلافة العثمانيَّة وتحويلِها من إمبراطوريَّة إلى قُطْر، ومن إسلاميَّة إلى لائكيَّة. ويكفي أن نعرف بأنَّ اليهود الأندلسيِّين كانوا جزءًا لا يتجزَّأ من يهود الدُّونمَة[7] الَّذين أسَّسُوا جماعة "تركيا الفتاة" الَّتي أخذت تتشكَّل عام 1860م في السِّرِّية بغرض إسقاط الخلافة وتغريبِ تُركيا، وتمخَّض عنها جمعيَّة "الاتِّحاد والتَّرقي" الَّتي اتَّبعت سياسة التَّتريك[8] ولو بالقوَّة

---

(1) ــ المرجع نفسه، ص ص273270.

(2) ــ محمَّد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الرواح في أصول الفلاح، تحقيق: رابح بونار، دط، ش و ن ت، الجزائر، 1968م، ص ص71 . 73.

(3) ــ فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دط، شركة دار الأمَّة للطِّباعة والتَّرجمة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1996م، ص ص120 . 121.

(4) ــ ناصر الدِّين سعيدوني، النِّظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1972 . 1830) ط2، م ر ك، الجزائر، 1985م، ص195.

(5) ــ فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص121.

(6) ــ ناصر الدِّين سعيدوني، المرجع السَّابق، ص ص46 . 74.

(7) ــ الدُّونمة: لقب أُطلق على يهود منطقة سالونيك بتركيا آنذاك؛ ومعناه: المرتدُّون كانوا متظاهرين بالإسلام بينما هم في حقيقتهم من أتباع التَّوراة، قاموا بدور جبَّار في تحطيم الخلافة العثمانيَّة وتتويج كمال أتاتورك حاكما (يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمَّتنا، ط12، مؤسَّسة =الرِّسالة، بيروت، 1987م، هامش ص ص152 . 153.

(8) ــ من أهمِّ مقتضيات هذه السِّياسة تتريك الدَّولة؛ أي جعل المناصب فيها حكرا على الأتراك وحدهم تطبيقا للقوميَّة الطُّورانية، ومن أهمِّ أهداف هذه السِّياسة

بالقوَّة الغاشمة وعَلْمَنة تركيا، والَّتي كان جميع زعمائها ماسونيِّين، وكان يهود الدّونمة جزءًا لا يتجزَّأ منها، وهي الَّتي ينتمي إليها أتاتورك؛ ومن أهمِّ أعضائها: جاويد؛ وهو من يهود الدُّونمة، وإيمانويل كراصوا؛ وهو محامٍ من اليهود الأندلسيِّين الَّذي استقرُّوا بسالونيك (يهود الدُّونَمة أيضا) ومن مؤسِّسي "تركيا الفتاة" السَّابق ذكرها[1]، وقد تمخَّض عنها إلغاء الخلافة الإسلاميَّة في سنة 1924م، وتحويل تركيا من إمبراطوريَّة إلى قُطْر.

وعندما نعلم أنَّ الَّذين فعلوا هذا كانوا جزءًا لا يتجزَّأ من اليهود الأندلسيِّين الَّذين نزحوا إليها مباشرة أو عن طريق ليفورنة، وأنَّ جميع هؤلاء كانوا ماسُونيِّين[2] أدركنا بسهولة أنَّ تدميرهم للجزائر والتَّسبُّبَ المباشرَ في احتلالها لم يكن ناتجا عن جشع اقتصاديٍّ كما يبدو لأوَّل وَهْلة، بل هو تخطيطٌ يهوديٌّ عالميٌّ مُحكم، بدأ بالجزائر ليصل إلى مقرِّ الخلافة العثمانيَّة، ويتمخَّضَ عنه في النِّهاية الكيان الصُّهيُونيُّ في فلسطين[3].

**يهود مدينة ليفورنة (Livourne) بإيطاليا:** هذه الطَّائفة تنتمي جغرافيا وثقافيا إلى أوربَّا، وقد شرعت في الهجرة إلى الجزائر ابتداءً من نهاية القرن 17م، ولكنَّها في بنيتها تتشكَّل من أصول مختلفة كاليهود الأندلسيِّين الَّذين هاجروا إلى ليفورنا فِرارا من محاكم التَّفتيش، ويهود وهران الَّذين هاجروا إلى ليفورنا بعد سقوط وهران في يد الإسبان، ثمَّ عادوا إلى الجزائر ليفوريِّين[4].

استولت هذه الطَّائفة على مقاليد الزَّعامة اليهوديَّة دينيًّا واجتماعيًّا فتصدَّرتها عائلات بكري (Bacri) وبوشناق (Busnach) وبوشعرة (Bouchara) من مُنتصف القرن 18 إلى الاحتلال في 1830م[5]، وكان أخطرهم بكري، وهو لقب لأسرة يهوديَّة رئيسها الأوَّل ابن زقوط من ليفورنة إلى مدينة الجزائر سنة 1770م مع أبنائه الأربعة يوسف ومردوشي ويعقوب وسليمان، أسَّسُوا شركة تجاريَّة نمت بسرعة مذهلة وكان أهمُّ ما قامت به: تزويدَ فرنسا بالحبوب، والاندماجَ في شركة يهوديَّة أخرى يرأسها حفيدُ ابن زقوط «نفتالي[6] بوجناح» . وستقوم هذه العائلة بالدَّور الخطير في استعمار فرنسا للجزائر . توسَّع نشاطُ هذه العائلة عالميًّا،

---

تنفير العرب من الأتراك لإضعاف الجميع وتقسيم الخلافة . وهو ما حدث بالفعل . (محمَّد قطب، مذاهب فكريَّة معاصرة، ط3، دار الشُّرُوق، القاهرة، بيروت، 1988، ص581).

(1) — (السُّلطان) عبد الحميد، مذكِّرات، تقديم: محمَّد حرب عبد الحميد، دط، دار الأنصار، القاهرة، 1978م، ص ص5 . 7.

(2) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص200.

(3) — ومن أراد التَّوسُّع في هذا ومعرفة مراودات اليهود للسُّلطان عبد الحميد لإعطائهم فلسطين مقابل حلّ مشكلات الخلافة العثمانيَّة المالية وغيرها فليرجع إلى مذكِّرات السُّلطان عبد الحميد.

(4) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص180.

(5) — المرجع نفسه، ص ص122 . 123.

(6) — محمَّد العربي الزّبيري، تقديم كتاب المرأة لحمدان خوجة، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1982م، هامش ص177.

ووظَّفت الصِّراعَ الإسلاميَّ المسيحيَّ لصالحها، وشكَّلت إحدى أهمِّ آليات النُّفوذ الغربيِّ في الجزائر[1]؛ حيث وصلت هذه العائلة إلى الجزائر بعد اشتهارها بالتِّجارة في أوربَّا وحوض المتوسِّط؛ وذلك لتوفُّر فرص الرِّبح في الجزائر أكثر من غيرها، ولسبب حضاريٍّ خطير . يتعلَّق بالطَّائفة كلِّها . يتمثَّل في الإجهاز على الجزائر، وقد أشرنا قبلا إلى علاقة جاليتهم بيهود الدُّونمة وبالماسونيَّة؛ وهي تنظيم عالميٌّ معروف.

ظلَّت هذه الطَّائفة موجودة في كلٍّ من ليفورنة والجزائر، ولم تقطع حبل ارتباطها بليفورنة تجاريًّا وعائليًّا[2] حتَّى قيل بأنَّ ليفورنة صارت مدينةً جزائريَّة لكثرة يهود الجزائر بها[3].

ويعود الفضل في نجاح هذه الطَّائفة في الجزائر وهيمنتِها على اقتصادها إلى اليهوديِّ سليمان الملقَّب بـ Jaquéte الَّذي وصل إلى الجزائر قبلها، وأقام علاقاتٍ حميمةً مع حكَّام الجزائر بما كان يُقدِّمه لهم من معلومات عن الأوربيِّين وكراء سفنه لهم. وقد اهتمَّ بتجارة الشَّمع والعبيد وحقَّق أموالا طائلة مع أبناء ملَّته من الوساطة في فداء الأسرى، وصارت هذه الطَّائفة تؤسِّس الشَّركات التِّجاريَّةَ الَّتي حقَّقت أرباحا وصلت إلى 400%[4] . كان من أهمِّها شركة بكري الَّتي سنشير إليها . وهذا يدعونا إلى الحديث عن مكانة هذه الجالية:

**مكانة الجالية اليهوديَّة:**

كانت الجالية اليهوديَّة في الجزائر قويَّةً ومؤثِّرة متمركزة في أهمِّ المدن، مشتغلة بالصِّناعات الثَّمينة كالصِّياغة والصّرافة وصكّ العملة؛ ممَّا جعلها في خزينة الدَّولة، وقد استُخدِم اليهود تراجمةً بحكم معرفتهم للُّغات الأجنبيَّة فاطَّلعوا على أسرار الدَّولة ووصلوا إلى مراكز التَّأثير السِّياسيِّ كالوزارة والقنصلة والاستشارة، ومن ذلك فإنَّ دايَ الجزائر عيَّن إبراهيم بوشناق وزيرا له لدى بلاط فرنسا، وناثان بكري قنصلا له في مرسيليا، وأخاه قنصلا في ليفورنا واتخذهم مستشاريه[5].

وهكذا وصل اليهود إلى مراكز إصدار القرار، وسيطروا على النَّشاط الاقتصاديِّ داخليًّا وخارجيًّا، فاحتكروا طريقَ التِّجارة الممتدَّ بين الجزائر وقسنطينة، وكانوا مرتبطين بتجَّار أوربَّا ومدنها التِّجاريَّة المشهورة مثل بيزة، وجنوة، والبندقيَّة، وليفورنا، وباريس؛ فاحتكروا تجارة الحرير والأقمشة والحبوب وغيرها، وكلُّ ذلك

(1) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص123.

(2) — المرجع نفسه، ص ص181 . 182.

(3) — أبو القاسم سعد الله، المرجع السَّابق، ص وهامش ص146.

(4) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص ص182 . 185.

(5) — أبو القاسم سعد الله، المرجع السَّابق، ص وهامش ص146.

يتمُّ تحت حماية الدَّاي وقناصل فرنسا وإنجلترا؛ ممَّا جعلهم يؤسِّسُون الشَّركاتِ في الجزائر والمحلاَّت الكبرى ويستحوذون على الأسواق، ويُعاملون الأهالي بالرِّبا الفاحش ويحتكرون النَّشاط الاقتصاديَّ في البحر المتوسِّط[1]؛ وهكذا طغى اليهود وعاثوا في الجزائر فسادا، ولقد بلغت بهم الجرأة والسُّخريَّة من الإسلام والحكَّام والسُّكَّان أن اتَّخذوا زيَّ الأشراف من آل البيت المتمثِّل في العمامة الخضراء لباسا لنسائهم[2]، وشرعوا في العمل على تهويد بعض الأماكن[3]، ومارسوا ظلما بشعا على الأهالي؛ ممَّا جعل سخط الأهالي يتحوَّل أحيانا إلى ثورات انتقاميَّة على اليهود مثل ثورة 1804م الَّتي تُعدُّ من أهمِّ الثَّورات لخطورتها ونتائجها على اليهود والجزائريِّين[4] معًا؛ بدأت هذه الثَّورة بقتل أحد الانكشاريِّين اليهوديِّ بوشناق الَّذي احتكر تجارة تصدير الحبوب فارتفعت أسعارها في الدَّاخل، وتحكَّم في الدَّاي والخزناجي وطغى وعاث في الأرض فسادا مع أبناء ملَّته، فانفجر غضبُ الأهالي فانتقم منهم الخزناجيُّ قتلا وصلبا، فتذمَّر الجيش وأعدم كُلاًّ من الدَّاي مصطفى باشا في سنة 1805م والخزناجيِّ فأخمدت الفتنة بذلك[5].

ونتوصَّل هنا إلى أنَّ اليهود في العهد الأخير سيطروا على النِّظام الحاكم فأذكى ذلك الصِّراعَ غيرَ الشَّريفِ على السُّلطة فكثر الظُّلم[6] والأخطاء وضعف الوازع الدِّينيّ، واهتزَّ الاستقرار، فكثرت الاغتيالات والانقلابات الفاشلة والنَّاجعة[7] ممَّا أضعف السُّلطة وأطمع فيها أعداءها[8]، فكثرت التَّمرُّدات والفتن، ويكفي أن نُدرك عدم الاستقرار السِّياسيّ عندما نعلم بأنَّه في الفترة 1798 . 1830م قتل 6 دايات من بين الثَّمانيَّة الَّذي حكموا فيها [9].

**نفوذ اليهود الاقتصاديّ:**

---

(1) — عبد الرَّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العامّ، ط7، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1995م، ج3، ص296.

(2) — أوَّل من أمر بامتياز أهل البيت بهذا اللِّباس سلطان مصر شعبان بن حسن بن قلاوون سنة 773هـ/1371م، (عبد الرَّحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص وهامش ص312.

(3) — ناصر الدِّين سعيدوني، النِّظام المالي، ص46.

(4) — ELNsebth (M) les juifs en Algérie et en Tunisie a l'époque turque (1516/1830) Revue Africaine, 1952, N96, PP134-146 .

(5) — نقيب الأشراف (الحاج أحمد الشَّريف الزَّهار)، مذكِّرات، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ط2، ش و ن ت، الجزائر، ص ص87 . 89. أيضا: ناصر الدِّين سعيدوني، المهدي البوعيدلي، الجزائر في التَّاريخ (العهد العثماني)، دط، وزارة الثَّقافة والسِّياحة، الجزائر، 1984م، ص41. أيضا: أحمد توفيق المدني، محمَّد عثمان باشا داي الجزائر (1766 . 1791)، دط، م و ك، الجزائر، 1986م، ص ص55 . 56.

(6) — محمَّد بن ميمون، التُّحفة المرضيَّة، تقديم: محمَّد بن عبد الكريم، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1981م، ص ص144 . 145.

(7) — Moulay Belhamissi, Histoire de la Marine Algérienne,(1516-1830) E.N.A.L, Alger, 1983, PP163-164 .

(8) — حمدان خوجة، المرآة، ترجمة: محمَّد العربي الزُّبيري، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1982م، ص150.

(9) —Moulay Belhamissi IBID, P164 .

صار للجالية اليهوديَّة ـ كما أشرنا قبلا ولا سيما اللِّيفوريِّين صولة وجولة فتحكَّموا في الاقتصاد الجزائريّ تحكُّما خطيرا فأثمر طغيانُهُم الاقتصاديُّ نفوذَهم السِّياسيَّ ممَّا كان له آثارهُ الوخيمة على البلاد والعباد، ونكتفي بالإشارة إلى ذلك التَّحكُّم بما يأتي:

1 ـ **سيطرتهم على وزارة المالية (بلغة اليوم)**: ونكتفي بالإشارة إلى مثالين يوضِّحان هذه السَّيطرة:

أ ـ **استيلابهم لخزناجيّ الدّاي مصطفى باشا**: وهو المشهور بيقار ولا أدلَّ على هذا أكثر ممَّا فعله من تقتيل للجنود والأهالي الَّذين ثاروا بعد اغتيال بوشناق[1].

واستيلاب اليهود على الخزناجيّ؛ أي وزير المالية بلغة اليوم يعني بوضوح أن أموال الجزائر كلَّها صارت لعبة بين أناملهم.

ب ـ **تخصيصهم بصكّ العملة بدار السّكّة**: (وهي تُساوي اليوم: البنك المركزيّ الجزائريّ). لقد كان بالجزائر أواخرَ العهد العثمانيّ عملتان؛ أجنبيَّة ومحلِّيَّة، والمحلِّيَّة كانت تضرب بدار السّكّة فاختير بعض اليهود لصكِّها تحت إشراف أمين السّكّة[2] فهيمنوا على السُّوق النَّقديَّة.

ولما كانوا مستلبين للخزناجيّ كما ذكرنا، فقد تحكَّموا كلِّيًّا فيما يُسَمَّى اليوم وزارة المالية ببنوكها ومُسيِّريها وسخَّروها لخدمة أهدافهم المناقضة للوطن؛ وهو ما مكَّنهم من نهب ثروات الخزينة بعد الاحتلال[3].

2 ـ **وساطتهم بين الحكومة والكراغلة[4] في دفع مرتَّباتهم ومرتَّبات أبنائهم الجنود**: بدأت هذه الوساطةُ منذ 1630م حين قام الكراغلةُ بمحاولة انقلاب فاشلة على آبائهم، فاجتمعوا في حصن الإمبراطور لهذا الغرض، ولكنَّ آباءهم الأتراك علموا بالمؤامرة فأحبطوها وقرَّرُوا عزلهم من الوظائف السِّياسيَّة مع الإبقاء على مُرتَّباتهم، فجَنَّدوا أبناءهم في الجيش مما جعل عددهم يصل إلى 10[5] آلاف أو 100[6] ألف حسب الآراء.

ولما كان هؤلاء الكراغلةُ مُوزّعين على مُختلِف أنحاء الجزائر فكان يتعسَّر عليهم الحضور شهريًّا لتقاضي مرتَّباتهم، فاستغلَّ اليهودُ هذا الوضعَ الصَّعب، وصاروا وساطة بينهم وبين الدَّولة، بحيث يسبقون لهم رواتبهم

---

(1) — نقيب الأشراف، مذكِّرات، ص ص87 . 88.

(2) — ناصر الدِّين سعيدوني، النِّظام المالي، ص ص189 . 190.

(3) — المرجع نفسه، ص46.

(4) — الكرغلي هو المولود من أب تركيّ وأمّ جزائريَّة.

(5) — حمدان خوجة، المرآة، ص ص155 . 156.

(6) — عبد الرَّحمن الجيلالي، المرجع السَّابق، ص295.

السَّنويَّة بضائع ليقبضوها من الدَّولة نقدا بالرِّبا الفاحش مُستغلِّين وضعيَّة الكراغلة الصَّعبة[1]. وهكذا وصل اليهود إلى هذه المكانة بعد أن وضع الأتراك ثقتهم فيهم ولا سيما بعد حادثة الكراغلة السَّابقِ ذكرها؛ لأنَّهم لا يخشون منهم الاستيلاء على الحكم، وهي ثقةٌ جعلت اليهود وفقا لطبائعهم ونفسيَّاتهم وما يأمر به كتابهم المقدَّس يأخذون تدريجيًّا في التَّأثير في الحكَّام والسَّيطرة عليهم، فشرعوا يوجِّهون إليهم نصائح الغدر الَّتي ساهمت في تزايد طغيان الأتراك واستبدادهم، وتقديم صورة مشوَّهة عن طبائع الأهالي[2]، وهنا نُدرك خطورة الوضع عندما تُصبح يدٌ أجنبيَّة مُعقَّدة وحَقودة ومُتآمرة ومُستندة في ذلك إلى كتابها المقدَّس واسطة بين السُّلطة والمواطنين حتَّى في دفع المرتَّبات، وهو ما يدُلُّ على النُّفوذ الَّذي وصل إليه أبناء صهيون في المرحلة الأخيرة للدَّولة الجزائريَّة قبل الاحتلال.

### 3 . قضيَّة تصدير الحبوب إلى فرنسا:

. **ظهور القضيَّة واكتشاف صالح باي للمؤامرة وقتله لذلك:** ظهرت هذه القضيَّة في عهد الدَّاي محمَّد عثمان باشا (1766. 1791م) دون علمه بذلك، حيث تمكَّن اليهوديَّان نفتالي (بوجناح) ويوسف بوخريص (بوشناق) من الحصول على إذن من الخزناجيّ حسن بتصدير الحبوب إلى فرنسا الَّتي كانت في مسغبة إثر حوادث الثَّورة الفرنسيَّة؛ وذلك لتنتهي بعد 40 سنة باحتلال الجزائر[3]. وقد تمكَّن صالح باي من اكتشاف المؤامرة فبلغ الدَّاي محمَّد عثمان باشا أثناء قدومه إلى الجزائر لتهنئته على عقد الصُّلح مع الإسبان عندما سأله عن قضيَّة تصدير الزَّرع والبقر لفرنسا . وكان الدَّاي قد أصدر أمرا بإيقاف التَّصدير . فأخبره بأنَّه لم يتوقَّف «فقال له: ألم يصلك كتابي؟ قال: بل وصلني، لكن بعد ذلك وصل لي كتاب من الخزناجيّ يأمرني بالسَّماح به لكلِّ من يحمل كتابا منه»[4]، وأخرج له كتب الخزناجيّ فأمر صالح باي بإيقاف التَّصدير التَّصدير فورا كما أمر بإعدام الخزناجيّ الَّذي كانت له بنت تزوَّجها حسن وكيل الجرح . وهو الَّذي أُمِر بتنفيذ حكم الإعدام في أبيها . الَّذي رُقِّيَ إلى خزناجيّ. فلمَّا تُوفِّيّ الدَّاي محمَّد عثمان باشا في 1205هـ/1791م صار الخزناجيّ حسن دايا فكان من سيِّئاته إعدامُ صالح باي إرضاءً لزوجته ابنةِ الخزناجيّ المقتول[5]؛ وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على تزايد النُّفوذ اليهوديِّ في عهد الدَّاي حسن (1791. 1798) وهو ما يدعو إلى الإشارة إليه:

---

(1) — حمدان خوجة، المرآة، ص ص155 . 156.

(2) — المرجع نفسه، ص158.

(3) — أحمد توفيق المدني، تعليق على مذكِّرات نقيب الأشراف، ص52.

(4) — نقيب الأشراف، مذكِّرات، ص ص49 . 52.

(5) — المصدر نفسه، ص ص49 . 52.

**تزايد النُّفوذ اليهوديّ في عهد الدَّاي حسن (1791. 1798)**: لقد طغى اليهود وتجبَّروا في عهد الدَّاي، إذ يكفي أن نعرف بأنَّه تأسَّست في عهده شركة بكري (بوخريص) . بوشناق (بوجناح) ( La Maison Bacri Busnach) الَّتي سنتحدَّث عنها، والَّتي صارت في ظرف قياسيٍّ عالميَّةً[1] بينما لم يكن أصحابُها قبل الدَّاي حسن شيئًا يُذكر، وقصَّةُ أصحابها مختصرةٌ كما يأتي:

قبل وُصُول بكري إلى الجزائر كان أخوه ميخائيل قد حلَّ بها، وتملَّك حانوت عطَّار صغيرة في باب عزُّون لبيع الخردوات بالتَّفصيل ، ولكن هذه العائلة بعد ارتباطها بالدَّايَيْن حسن باشا (1791. 1798)، ومصطفى الوزناجي (1798. 1805م) صارت ثروتُها تُقدَّر بالملايين[2]؛ ذلك أنَّ الدَّايَ حسن عيَّن نفتالي بوشناق مستشارَه، وتدعَّم نفوذُه أكثر في عهد الدَّاي مصطفى الوزناجيّ الَّذي كان صديقَه وشريكَه في جرائمه[3]. وتعُود علاقته به أثناء عزل الوزناجيّ عن بايلك التّيطري سنة 1792م بعد 20 سنة من حكمها[4]. فكان بوشناق يتردَّد عليه في مخبئه خوفا من شرطة الدَّاي، ويقدِّم له حاجته من الغذاء والمال، ثمَّ سعى لدى الدَّاي حسن للعفو عنه فنجح كما نجح مع شريكه بكري سنة 1794 في إقناع الدَّاي حسن ليُعيِّنه بابا على قسنطينة[5]؛ ليصير مستشارَه وصديقَه وشريكَه في بعض الصَّفقات، ولما كان بمثابة مُستشار للدَّاي حسن أيضا فقد اقترح عليه تعيين الوزناجيّ خزناجيًّا ليصير خليفَتَه فحصل، مما جعل نفوذ بوشناق يمتدُّ إلى الشُّؤون المالية للدَّولة من خلاله، وقد تمكَّن من جعله دايا بعد وفاة الدَّاي حسن بما مارسه من ضغوط على كبار المسؤولين وما دفعه من رشاوى، وهكذا وصل بكري وبوشناق إلى مراكز إصدار القرار بدخول قصر الدَّاي والتَّأثير في قراراته، كما دعم بوشناق نفوذه بالسَّماسرة اليهود المنتشرين في القطر الجزائريّ للتَّجسُّس على الأهالي، وبِوُكَلائه في أوربَّا للتَّجسُّس على الدُّول الأوربِّيَّة لينال الحظوة العُظمى لدى الدَّاي بما يُقدِّمه له من معلومات؛ وهو ما جعله يتبوَّأ المكانة العُظمى في الدَّولة إلى حدِّ عزل كبار الموظَّفين وتعيينهم، واستقبال قناصلة الدُّول والإشراف على مفاوضات الجزائر مع بُلدانهم مثلما حدث مع البرتغال في 1803م، وهو ما جعل النَّاس يُطلقون عليه لقب ملك الجزائر كما كان هو وشريكه بكري يقومان بِحَبْك الثَّروات ثمَّ مساعدة الدَّاي على قمعها ليظهرا له بمظهر مُحِبِّيه ومُنقِذيه، وذلك بواسطة

(1) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص186.

(2) — حمدان خوجة، المرآة، ص ص158 . 159.

(3) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص186.

(4) — محمَّد العربي الزُّبيري، هامش المرآة، ص159.

(5) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص ص187 . 188.

شبكتهما التَّجسُّسيَّة المتكوِّنة من الباعة اليهود المتجوِّلين[1] وهكذا تدعم نفوذ بوشناق داخليًّا فتمكَّن من إزاحة إبراهام بوشعرة من رئاسة الطَّائفة اليهوديَّة ليتبوَّأ رئاستها ويعطي لشركته دفعا قويًّا؛ وهو ما يجعلنا نشير إلى هذه الشَّركة.

**تأسيس الشَّركة:** تأسَّست شركة بوشناق بكري ابتداء من سنة 1793م، فتكفَّل بوشناق بشُؤُونها السِّياسيَّة وعلاقاتها الخارجيَّة، وتكلفَّل بكري بإدارتها وشؤونها الدَّاخليَّة، فنجحت نجاحا مذهلا بتزويد فرنسا بالحبوب الجزائريَّة لمدَّة 5 سنوات (1793. 1798) بناء على عقد مع فرنسا، فصارت في هذه الفترة القصيرة أهمَّ الشَّركات اليهوديَّة اللِّيفورنيَّة والجزائريَّة على السَّواء، ولا أدلَّ على هذه القُوَّة والنُّفوذ من أنَّها توسَّطت في إقراض الدَّاي حسين لفرنسا مبلغ 5 مليون فرنك لتُواجه الأزمةَ النَّاتجةَ عن الثَّورة الفرنسيَّة[2]، وهنا نتساءل: **كيف تمكَّنت هذه الشَّركة من تقوية نفوذها؟** والجواب كالآتي:

1 . نفوذ صاحبَيْها بكري وبوشناق لدى البلاط الجزائريِّ كما بيَّنَّا قبلا.

2 . علاقة بوشناق بالماسونيَّة واليهوديَّة العالميَّة، ولا سيما يهود فرنسا وماسونيِّيها.

لقد صار لها تلك القُوَّة بدعم اللُّوبي اليهوديِّ لها بفرنسا بعد ثورتها، حيث سُخِّرت لها المحافلُ الماسونيَّة ومؤسَّساتُ اليهود الماليةُ والإعلاميَّةُ، كما وفَّر لها الماسُونيُّون السِّياسيُّون الحمايةَ، ومن كبارهم الَّذين مكَّنُوا لها في فرنسا بفضل ارتشائهم ومُساعدتهم للوصول إلى أعلى المناصب في الدَّولة، وزير خارجيَّة فرنسا القسّ طاليران (Talleyrand) (1797. 1807م) الَّذي تكفَّل بحماية اليهود في فرنسا حتَّى من الحكومة ذاتها[3]، وهو ما عبَّر عنه إبراهيم بوخريص قائلا: «لو لم يكن الأعرج . طاليران . ملك يدي ما كنت لأستطيع أن أفعل شيئا في باريس»[4]. ويجب أن نذكر هنا بأن هذا الأعرج هو الَّذي عيَّن عددًا من القناصل في الجزائر على شاكلته، مثل Moltède

وDubois وDeval صاحب حادثة المروحة، لقد كان هؤلاء الثَّلاثةُ على صلة حميمة ببكري وبوشناق، وكانوا مع الأعرج يعملون لحساب يهوديٍّ آخر يمتاز بالدَّهاء والنُّفوذ والثَّروة والخطورة؛ هو ( Amshel Mayer) (1743. 1818) المعروف باسم البارون دي روتشيلد (Baron de Rothshild) الَّذي لعب دورا مُعتبرا في الثَّورة الفرنسيَّة الَّتي كان كثيرٌ من زعمائها ماسُونيِّين يهودًا ممَّا جعل الماسُونيِّين يتبوَّؤُون المكانةَ البارزةَ بعدها؛ وهُو ما أدَّى إلى النَّجاح الباهر لشركة بكري بوشناق إلى حدِّ إزالة الشَّركة الفرنسيَّة «الوكالة

(1) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص ص187 . 188.

(2) — المرجع نفسه، ص ص186 . 187.

(3) — عبد الرَّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العامّ، ج3، ص344.

(4) — المرجع نفسه، ص344.

الإفريقيَّة الفرنسيَّة»[1] Agence National d'afrique واحتكار التِّجارة الخارجيَّة الجزائريَّة[2].

وهكذا كان الدَّعمُ الماسونيُّ الهائلُ لهذه الشَّركة من أهمِّ أسباب نفوذها وقُوَّتها، وعندما نَعلم علاقةَ يهود ليفورنا بالماسُونيَّة في ليفورنة وغيرها، وتخطيطَ الماسُونيَّة لتدمير الخلافة العثمانيَّة: أدركنا أنَّ استعمار فرنسا للجزائر كان بتخطيط اليهود وتنفيذهم، وهذا يَقُودنا إلى الحديث عن بداية السَّبب المباشر للاحتلال.

**بداية السَّبب المباشر للاحتلال أو هديَّة باي قسنطينة إلى زوجة الدَّاي:**

باي قسنطينة هذا هو الوزناجيّ الَّذي أشرنا قبلا إلى كونه بايا على التّيطري ثمّ عُزِل، فتدخَّل صديقاه بوشناق وبكري لدى الدَّاي حسن فعيَّنه بايا على قسنطينة، فلمَّا قدم إلى مدينة الجزائر أراد أن يُقدِّم هديَّة إلى زوجة الدَّاي تليق بمقامها، فتوجَّه إلى صديقه بوشناق لشراء سرماط باريسيّ مرصَّع بالماس بـ 300 ألف فرنك، قيمته الحقيقيَّة 30 ألف فرنك، وقد تعهَّد بأن يدفع قيمته قمحا، فشحن البكربون 75 ألف كيلة وزن الواحدة 40 كيلو إلى فرنسا أثناء الحصار الإنجليزيّ عليها، قدر ثمن الكلِّيَّة بأربعة فرنكات، وباعوها بـ 50 فرنكا فربحوا 3 ملايين و57 ألف فرنك من هذه الصَّفقة.

ولما كان شريكُهم اليهوديُّ الباريسيُّ صانعَ السّرماط لم يستفد من الصَّفقة فقد قدم إلى الجزائر للمُطالبة بحصَّته[3]، فكُشِفت العمليَّة.

وفي هذه السَّنة ذاتِها فقد بلغ ما صُدِّر من القمح إلى فرنسا 96 شحنة يضاف إليها 240 ألف صاع صُدِّر من ميناء وهران، لم تزد كلفة الصَّاع عَلَى 6 فرنكات، وهو ما أثَّر سلبا على الجزائر الَّتي اضطرَّت في سنة 1800 مثلا بسبب مجاعة كبرى لشراء القمح من موانئ البحر الأسود بـ 28 فرنكا للصَّاع[4].

وهكذا تحكَّم اليهودُ كلِّيًّا في التِّجارة الخارجيَّة، وحَطَّمُوا اقتصادَ البلاد، وجعلوها في مجاعة وهي تُصَدِّر تلك الكمِّيَّاتِ الهائلةَ من القمح، وجعلوها في غلاء وهي تبيع قمحها بثمن بخس وهم يجنون الأرباحَ الخياليَّة، وهنا نصل إلى السَّبب المباشر للاستعمار.

**السَّبب المباشر للاستعمار:**

بعد أن صَدَّر بكري كمِّيَّاتٍ هائلةً من القمح الجزائريّ إلى فرنسا طالب بتسديد ما صدَّره منذ عهد الثَّورة الفرنسيَّة، وقيمته 24 مليون فرنك، وهو ما بين محضر اللَّجنة الَّتي شكلها الملك الفرنسيّ لويس فيليب

(1) — فوزي سعد الله، المرجع السَّابق، ص ص197. 204 . 206.

(2) — عبد الرَّحمن الجيلالي، المرجع السَّابق، ص343.

(3) — حمدان خوجة، المرآة، ص159.

(4) — المصدر نفسه، ص60.

(L.philip) لهذا الغرض، وبعد مُفاوضات أُنزل المبلغُ إلى 7 ملايين أُبرِم اتِّفاقٌ في شأنها، أمضاه ملكُ فرنسا يوم 28 أكتوبر 1819م[1]، وصوَّت عليه مجلسُ النُّواب الفرنسيِّ يوم 24 جويلية 1820م[2] ينُصُّ على تسديد تلك الدُّيون خلال سنة ابتداءً من غرَّة مارس 1820م[3] لشركة بكري بوشناق، ولكنَّ التَّسديد تأخَّر لحاجةٍ في نفس يعقوب فلجأ بكري إلى المكر ليضغط على الدَّولة الجزائريَّة، فاستدان من خزينتها مبالغَ هامَّة تُمثِّل قيمة كمِّيَّة من الصُّوف اشتراها من الدَّولة، وقرَّر تسديدها من دُيُونه على فرنسا، وبلَّغ الدَّاي بذلك[4].

ولكنَّ عددًا مُعتبرا من دائنيه اعترضوا على طريقة الدَّفع ممَّا جعل القضيَّة تتعقَّد[5]، وبذلك فَقَدْ أَجْبر بكري الدَّولةَ على التَّدخُّل لدى فرنسا للمطالبة بتسديد دُيُونه باعتباره جزائريًّا، وفي هذه المرحلة تقرَّب بكري من قنصل فرنسا في الجزائر دوفال.

**تقرُّب بكري من قنصل فرنسا دوفال:**

في هذه الأثناء المتمثِّلة في عدم تسديد فرنسا لدُيُونه واستدانته من الخزينة ليضغط على الدَّاي ومطالبة دائنيه بتسديد ديونهم، ومطالبة فرنسا بتسديد دُيُونه ليُسدِّد منها؛ تَقَرَّب بكري من دوفال، وأعطاه مبلغا هامًّا نقدًا، ووعده برشوة كبيرة إن ساعده في تحصيل دُيُونه من فرنسا، ولكنَّ القضيَّة لم تُسَوَّ ممَّا جعل ضغوط دائني بكري تزداد على الدَّاي حسين فاضطرَّه ذلك إلى مُراسلة فرنسا مُطالبًا بالتَّسديد باعتبار بكري مُواطنا جزائريًّا[6] وحاخام اليهود مما يُوجب حمايته[7] إضافة إلى دُيُونه تجاه الخزينة[8].

وكانت مُراسلتُه لها بواسطة القُنصل الفرنسيِّ دوفال[9] الَّذي وعد أنَّه سيُحضِر له المبلغ المترتِّبَ على بكري لفائدة الخزينة الجزائريَّة. وعلى الرَّغم من أنَّ الدَّاي سلَّم له البرقية الَّتي طلبها منه، فإنَّه أخلف وعده،

---

(1) — المصدر نفسه، ص ص177 . 178. أيضا: محمَّد العربي الزُّبيري، هامش المرآة، ص178.

(2) — عبد الرَّحمن الجيلالي، المرجع السَّابق، ص346.

(3) — حمدان خوجة، المرآة، ص178.

(4) — نقيب الأشراف، مذكِّرات، ص163.

(5) — حمدان خوجة، المرآة، ص178.

(6) — المصدر نفسه، ص ص179 . 180.

(7) — عبد الرَّحمن الجيلالي، المرجع السَّابق، ص345.

(8) — حمدان خوجة، المرآة، ص179.

(9) — استدعى الدَّاي قنصل فرنسا دوفال وكلَّمه في قضيَّتي الدّين وما أحدثه الفرنسيُّون من بناء في القالة ووضع المدافع بها، وهو ما يدُلُّ على النِّيَّة المبيَّتَة للعدوان، للعدوان، ولكن القنصل أنكر هذه الأخيرة فأفحمه الدَّاي بصحَّة ما أخبره به، وكتب رسالة إلى ملك فرنسا في هذين الأمرين كَلَّفَهُ بتبليغها، (نقيب الأشراف، مذكِّرات، ص164).

فاضطُرَّ الدَّايُ إلى إرسال برقيات أخرى، ولكن فرنسا لم تَرُدَّ عليها؛ لأنَّها لم تصِلها؛ لأنَّ دوفال أخفاها عنده ناويًا الاستحواذَ على تلك الأموال[1][2]، فنفد صبرُ الدَّاي لعدم ردِّ فرنسا عن تلك البرقيات، ولا سيما سيما أنَّها كانت تُعَبِّر عن احتجاجه على تدخُّل فرنسا السَّافر في الشُّؤون الجزائريَّة كتشكيل لجنة فرنسيَّة محضة لتخفيض الدُّيُون الجزائريَّة عليها، وتقرير تقليصها من 24 مليون إلى 7 ملايين دون استشارة الجزائر، وحجر المحاكم الفرنسيَّة على بعض هذه الدُّيُون بحُجَّة أنَّها لدائني بكري الفرنسيِّين، وبناء مبانٍ جديدةٍ في القالة وملئها بالأسلحة والذَّخيرة، وكلُّ هذا يُعدُّ خرقا للاتِّفاقيات المبرمة بين البلدين.

إنَّ ما سبق جعل الدَّاي يتيقَّن بأنَّ أمواله وجميعَ حقوق دولته ضاعت فيما بين تسويفات الحكومة الفرنسيَّة، ومخادعة وزيرها طاليران ودسائس الشَّركة اليهوديَّة، وحظوة مندوبها بباريس (نيقولا بليفيل) وتلاعب القنصل الفرنسيّ (دوفال)[3].

فلمَّا قدم دوفال لتهنئته بِعِيدِ الفطر سأله بعد الحفل: لماذا لم تجبه حكومته عن برقياته العديدة الخاصَّة بما سبق[4]، أجابه دوفال بوقاحةٍ قائلا: «إنَّ حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلِكم»، وتمَّ هذا أمام الدِّيوان فأحسَّ الدَّايُ بإهانته فغضب وضربه ضربة واحدة بمروحة من سعف النَّخيل، فعرض دوفال الحادثة بطريقة مَهُولة ليبرِّر بها وقاحته مع الدَّاي[5].

ولما كانت فرنسا تخطِّط لغزو الجزائر منذ الحملة الصَّليبيَّة على تُونس في 1270م لأهداف صليبيَّة واستعماريَّة، فقد وجدت الفرصةَ سانحةً للانقضاض على الجزائر، وهنا نتوصَّل إلى تعاون اليهوديَّة والصَّليبيَّة في احتلال فرنسا للجزائر.

**تعاون اليهوديَّة مع الصَّليبيَّة في احتلال فرنسا للجزائر:**

لقد أشرنا قَبلًا إلى علاقة الجالية اليهوديَّة في الجزائر بالماسونيَّة العالميَّة، إنْ في ليفورنا أو في باريس، وذكرنا بأنَّ الماسونيَّة كانت تقوم بتخطيط عالميٍّ لتدمير الخلافة العثمانيَّة، وقد بدأت التَّنفيذ في الجزائر فنجحت لتُجهز بعدها على مقرِّ الخلافة ذاتِها لتلغيها على يد كمال أتاتورك، كما أشرنا إلى علاقة بكري

(1) — حمدان خوجة، المرآة، ص ص179 . 180.

(2) — ذكر نقيب الأشراف أنَّ دوفال أرسل برقية الدَّاي الأولى إلى الملك الفرنسيّ حول قضيَّتي الدُّيون والقالة، ولكن الملك الفرنسيّ أجاب القنصل ولم يجب الدَّاي، وطلب منه إخبار الدَّاي بأنَّه لن يجيبه، وإذا احتاج شيئا عنده لا يكاتبه رأسا، وإنَّما يكلِّم القنصل والقنصل يُكلِّم ملكه. ولكن دوفال لم يستطع أن يخبر الدَّاي بهذا، وكلَّما استفسره عن الرَّدِّ أجابه بأنَّه لم يصل بعد. وهذا يدلُّ على أنَّ استعمار الجزائر كان أمرا مدبَّرا بليل (نقيب الأشراف، مذكِّرات، ص164).

(3) — عبد الرَّحمن الجيلالي، المرجع السَّابق، ص ص347 . 348.

(4) — حمدان خوجة، المرآة، ص ص179 . 180.

(5) — المصدر نفسه، ص ص179 . 181.

بوشناق بالماسونيَّة والماسونيِّين في فرنسا إنْ برجال ثروتها أو بمن أتى بعدهم، وأشرنا إلى علاقة بكري بوشناق بوزير الخارجيَّة الفرنسيِّ القسيس طاليران، وعلاقة طاليران بالماسونيَّة، وكيف عيَّن مجموعة من القناصلة على شاكلته؛ منهم دوفال، وبهذا نتوصَّل إلى تأثير اليهوديَّة والماسونيَّة في دوفال، ممَّا يعني أنَّ اليهوديَّة شاركت في التَّخطيط والتَّهيئة لاستعمار فرنسا للجزائر.

ولكنَّ دوفال كان واقعًا أيضا تحت تأثير آخر له نفس أهداف الماسونيَّة واليهوديَّة في تحطيم الجزائر وإن لأغراض أخرى؛ وهو الفاتيكان.

**علاقة دوفال بالفاتيكان ودور الفاتيكان في الاحتلال:**

من المعروف أنَّ الصِّراع ـ قبل الاحتلال الفرنسيّ ـ كان على أشُدِّه بين الجزائر والعالم المسيحيِّ الغربيِّ. فالجزائر هي الَّتي أوقفت الزَّحف الإسبانيَّ على بلدان المغرب العربيِّ والعالم الإسلاميِّ، وأصبحت المدافعَ الأكبرَ عن الإسلام، فتعرَّضت لكثيرٍ من الحملات الصَّليبيَّة الغربيَّة بِسَعْيِ الفاتيكان وتخطيطِه باعتبارها حاملةَ راية الجهاد، واستمرَّت تلك الحملات إلى غاية الحملة الفرنسيَّة على الجزائر ابتداء من 27 جوان 1827م؛ وهي الحملة الَّتي شجَّعها البابويَّة تشجيعا حثيثا(1) بعد أن شاركت في التَّخطيط لها إلى حدٍّ أنَّ تصرُّف قنصل فرنسا دوفال مع الدَّاي حسين كان بإشارة من الفاتيكان(2) الَّذي اعتبر استعمار فرنسا للجزائر عملا مُقدَّسا، والَّذي كان وراء وزير الشُّؤون الدِّينيَّة الفرنسيَّة الأسقف فريسنوس (Fresnnos) الَّذي أثَّر على قرار شارل العاشر (charl10) لصالح غزو الجزائر(3) الَّذي كان العاملُ الدِّينيُّ فيه من أهمِّ أسبابه، وهو ما جعل البابا بيوس 8 (Pious)(4) يتكرَّم على الملك لويس فيليب (Louis Philipe) بمنحه لقب «الملك الشَّديدُ المسيحيَّة» بسبب اعتماده على الدِّين وتدعيمه له بالجزائر إلى حدِّ قوله بمجلس وزرائه «يجب أن يكون هناك حسن تدبير في العمل على تنصير العرب الَّذين لا يمكن أن يكونوا فرنسيِّين إلاَّ إذا تنصَّروا»(5)، وهذا ما كان يرغب فيه الفاتيكان الَّذي كان على يقين من أنَّ استعمار فرنسا للجزائر هو استرجاع لمجد روما بعد 13 قرنا من الفتح الإسلاميّ(6)؛ وهو ما جعل فرنسا تخطِّط لهذا الغرض منذ قرون.

---

(1) — مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصيَّة الجزائر الدّولية وهيبتها العالميَّة قبل 1830م، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1985م، ج1، ص ص85 ـ 86.

(2) — Michal habard, histoir d'un pajure, Paris, P1970 .

(3) —Ibid, P173 .

(4) — تولَّى شؤون البابويَّة من 1829 إلى 1830م (خديجة تعطاش، الحركة التَّبشيريَّة الفرنسيَّة في الجزائر (1830 ـ 1827)، ط1، مطبعة حلب، الجزائر، 1992م، هامش ص72.

(5) — المرجع نفسه، ص40.

(6) — المرجع نفسه، ص30.

**رغبة فرنسا في احتلال الجزائر والتَّخطيطُ القديمُ له:**

لقد شرع مُلُوك فرنسا يُخطِّطون لاحتلال الجزائر منذ 1270م على الأقلّ، ولكنَّ قوَّةَ الجزائر حالت دون ذلك، وما إن ضعفت حتَّى انقضُّوا عليها لتحقيق هدفين جوهريَّين؛ هما: تأسيس إمبراطوريَّة استعماريَّة قريبة من فرنسا لتسهل السَّيطرة عليها، وتلبية رغبة الكنيسة بشنِّ حروب صليبيَّة جديدة على بلاد الإسلام الَّتي أخذ الضّعف ينخر جسمها[1] وإعادة إحياء الكنيسة الإفريقيَّة[2]، وهو ما اعترفوا به في وثيقة رسميَّة مخصَّصة لجيش العُدوان عام 1830م صادرة بأمر وزير الحربيَّة الفرنسيِّ، ومطبوعة بطابع الملك ومستقاة من تقرير الرَّائد العسكريِّ المهندس بوتان (Bouton) الَّذي أرسله بونابرت إلى الجزائر عام 1808م بغرض الإعداد لاحتلالها[3]، وهما السَّببان اللَّذان برَّر بهما وزير الحربيَّة الفرنسيُّ كليمون تونير (Clement Tonnerre) في التَّقرير الَّذي قدَّمه لشارل العاشر يوم 14 أكتوبر 1827م: الفائدةَ من استعمار الجزائر:

تمدين الأهالي وجعلهم مسيحيِّين[4]، وهذا ما أدَّى بشارل العاشر إلى جمع كلِّ أساقفة فرنسا ليطلب منهم إقامة صلوات خاصَّة بهذا الغرض في كلِّ الكنائس لدعوة الرَّبِّ لحماية الرَّاية ونصرهم[5].

وهكذا نتوصَّل إلى أنَّ السَّببَ الحقيقيَّ لعدوان 1827م هو النِّيَّةُ المبيَّتةُ منذ قرون لاحتلال الجزائر للسَّببين السَّابِقَيْ الذِّكر[6] وليس حادثة المروحة، وقد شارك في التَّخطيط لهذا الاحتلال والإعدادِ له: اليهوديَّة والماسُونيَّة العالميَّة والفاتيكان والدَّولة الفرنسيَّة، وكان تصرُّف دوفال مع الدَّاي بإشارة الفاتيكان، وتَحْتَ تأثير اليهوديَّة والماسونيَّة واستجابة لرغبة بلده، وهنا نتوصَّل إلى خاتمة البحث.

**الخاتمة:**

بعد هذه الرِّحلة الشَّاقة في دهاليز التَّآمر اليهوديِّ على الجزائر نتوصَّل إلى أنَّ اليهوديَّ هو اليهوديُّ، فمهما قدَّمتَ له من خدمات فلن يعترف لك بالجميل، وقد نتجت نفسيَّته المعقَّدة من نُصوص دينه، ومن عقيدة التَّعالي الَّتي يؤمن بها، وهو ما جعلهم يتآمرون على الجزائر وينخرونها من الدَّاخل رَغم أنَّهم وجدوها ملاذا لهم من محاكم التَّفتيش الإسبانيَّة فأقبلوا إليها من كلِّ حدب وصوب فاستولوا على اقتصادها،

---

(1) — المرجع نفسه، ص30.

(2) _ Gabrial Esquer, Correspondance du due de Porigo (1831-1833), Alger, T2, P338.

. نقلا عن خديجة تعطاش، المرجع السَّابق، ص34.

(3) — مولود قاسم، المرجع السَّابق، ص20.

(4) — Grussenneyer Mgt, Vingt cinq années, d'espiscopat en France, et en Afrique, Alger, 1882, T1, P173 . نقلا عن خديجة تعطاش، المرجع السَّابق، ص18.

(5) — خديجة تعطاش، المرجع السَّابق، ص18.

(6) — مولود قاسم، المرجع السَّابق، ص ص21 . 24.

وتحكَّموا في أموالها وطرق تجارتها، فاحتكروا وعاثوا فيها فسادا، ووصل بهم التَّحكُّم إلى حدِّ أن صاروا وسطاءَ في دفع الدَّولة لمرتَّبات رعاياها، وتبوَّأوا مراكز إصدار القرار بهيمنتهم على بعض كبار حُكَّامها من دايات وبايات، ولكي يخنقوها بإحكام فقد ارتبطوا بالماسونيَّة واليهوديَّة العالميَّة وكبار رجال الدَّولة الفرنسيِّين والفاتيكان وكلِّ ما من شأنه أن يضعف الجزائر ليسهل الإجهاز عليها، وجعلوا البلاد تعُجُّ بالفتن لإضعاف حُكَّامها ومحكُوميها على السَّواء، وتسبَّبُوا في مديُونيَّة فرنسا تجاهها ليقدِّموها لقمة سائغة للفرنسيِّين في 1830م، كلُّ هذا يدخل في نطاق تمزيق الخلافة العثمانيَّة الَّتي رَغم ضعفها فإنَّها كانت ترمز للوحدة الرُّوحيَّة للمسلمين؛ وذلك ليُحقِّقوا أطماعهم المادِّيَّة والدِّينيَّة.

وبهذا نتوصَّل إلى الجواب على الإشكاليَّة الَّتي طرحناها في مُقدِّمة هذا البحث، وتتمثَّل في أنَّ اليهود لا يُمكن أن يتخلَّوا عن طبعهم وما تطبَّعوا عليه، وأنَّ السِّرَّ في ذلك إنَّما هو عقيدتهم وشريعتهم، وقد أشرنا إلى ما قدَّموه لفرنسا لتحتلَّ الجزائر، وهو ما حدث بالفعل؟